الأستاذ بن داود أحمد

ماستر 1- تاريخ المغرب العربي المعاصر

مقياس تاريخ المغرب الأقصى المعاصر

المقاومة المسلحة للاستعمار الفرنسي والاسباني

المرحلة الأولى 1912-1926

1- المقاومة في المناطق الجنوبية

لقد تزعمت أسرة ماء العينين المقاومة في المناطق الجنوبية وأشرف على قيادتها أحمد الهيبة ابن "ماء العينين"، حيث اجتمع حوله في "تزنيت" أتباع من مختلف القبائل وبايعوه قائدا للجهاد في ماي 1912 وتمكن من دخول مدينة مراكش في 18 أوت 1912 في ظروف تميزت بتنازل السلطان عبد الحفيظ عن العرش ولم تكن البيعة للسلطان الجديد يوسف قد تمت بعد.

وفي إطار مقاومة الفرنسيين اصطدم بقوات الجنرال مانجان (Mangin) في معركة سيدي بوعثمان في 6 سبتمبر 1912 لكن عدم تكافئ الجيشين من حيث العتاد والعدة أدى إلى انهزامه ثم دخول الفرنسيين مدينة مراكش واتخذوها نقطة انطلاق للتوسع جنوب المغرب وعينوا "المدني الجلاوي" باشا عليها بعد أن تمت المبايعة الرسمية بها للسلطان يوسف.

على إثر هذه التطورات عاد الهيبة إلى مدينة تيزنيت ثم بعد احتلال الفرنسيين مدينة "تارودانت" انتقل إلى بلدة "كردوس" وتابع وقائع المقاومة في الجنوب الغربي للبلاد، وقد حاولت ألمانيا إبان الحرب العالمية الأولى ربط علاقات معه فأمدت الغواصات الألمانية رجاله بالمال والعتاد الحربي سنة 1916 لكن فرنسا تدخلت بالتنسيق مع اسبانيا وقطعتا الطريق على الدعم الألماني ، وهذا ما أدى إلى ضعف وتراجع حركة المقاومة لأحمد الهيبة ثم وفاته سنة 1919 ليخلفه أخوه على رأس الحركة.

2- المقاومة في منطقة الأطلس

في إطار محاولته السيطرة على منطقة الأطلس اعتمد الجنرال ليوطي على نفوذ القواد الكبار في المنطقة وهم "الكلاوي" و"الكندافي" و"المتوكي" الذين مدوا له يد المساعدة من أجل السيطرة على الأطلس الكبير الشرقي وسهل سوس. ثم زادت قوات الاحتلال التوغل جنوبا وتمكنت مع حلول سنة 1913 من مد نفوذها حتى مدينة الصويرة وأغادير وحوز مراكش.

ونظرا للأهمية الإستراتيجية والاقتصادية لممر تازة في المخططات الاستعمارية وباعتباره صلة وصل بين شرق المغرب وغربه ثم بين جبال الأطلس جنوبا وجبال الريف شمالا فقد حاولت سلطات الحماية الاستيلاء عليه لكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة من قبل قبائل التسول والبرانس وغياثه وبني وارين المحيطة بمدينة تازة مستغلة في ذلك وعورة التضاريس، وبعد معارك ضارية تمكن اليوطي والجنرال غورو (Gouraud) من دخول مدينة تازة وذلك في 17 ماي 1914 وبذلك ستتمكن فرنسا من ربط المغرب مع باقي مستعمراتها في شمال إفريقيا، ثم قامت ببناء عدة منشآت عسكرية بالمدينة واتخذها الجيش الفرنسي كنقط انطلاق لمهاجمة معاقل المقاومة الجبلية في الأطلس المتوسط وجبال الريف.

واصل الفرنسيون توغلهم وتمكنوا من احتلال مدينة تادلة سنة 1913 رغم المقاومة الشديدة لكل من موحى أوسعيد وحمو الزياني مستفيدين في ذلك من انبساط تضاريس المنطقة ثم احتلوا قصبة بني ملال سنة 1916، وهذا ما جعل موحى أوسعيد وحمو الزياني يتراجعان إلى مدينة "خنيفرة" بغرض إعادة تنظيم حركة المقاومة لكن قوات الجنرال "هنريس" ستتمكن من احتلال المدينة في 12 يونيو 1914 وهذا ما جعل موحى أو حمو يتجه إلى الجبال لاستئناف مقاومة الجيش الفرنسي وتمكن من إلحاق الهزيمة به في معركة "الهري" في نوفمبر 1914، ثم استغل ظروف الحرب العالمية الأولى من أجل مهاجمة قوافل التموين الفرنسية، لكن صعوبة الظروف في المنطقة وتضييق الجيش الفرنسي الخناق على المقاومين مكن هذا الأخير من إلحاق الهزيمة بموح أوحمو في معركة "أزلاغن تزمورت" سنة 1921 وهذا ما سيفتح مجال التوسع لجنود الغزو الفرنسي والتقدم بسرعة لاحتلال باقي أجزاء المغرب.

3- المقاومة في منطقة الريف

أ. مقاومة أحمد الريسوني

بعد اعتراف فرنسا لاسبانيا في فبراير 1912 بالنفوذ الاسباني على شمال المغرب بدأت المقاومة المسلحة في القسم الشمالي الغربي للمغرب في البداية بزعامة "أحمد الريسوني" في إقليم جبالة في ديسمبر 1912 والذي استطاع القيام بالتعبئة الشعبية بمساعدة العلماء ورجال الدين معتمدا في مقاومته على حرب الكمائن لمواجهة التفوق العددي وفي الأسلحة للقوات الاسبانية.

استمرت مقاومته حتى بعد انطلاق مقاومة الريف مع عبد الكريم الخطابي، لكن الإسبان استطاعوا شراء ذمته وبدأ في تحريض قبائل الريف ضد محمد بن عبد الكريم الخطابي وهذا ما أجبر هذا الأخير على محاربته ثم أسره سنة 1925.

ب. مقاومة الشريف محمد أمزيان

تعتبر من أعنف المقاومات التي واجهها الاستعمار الفرنسي في شمال المغرب بعد توقيع اتفاقية فاس في مارس 1912، حيث تصدى للقوات الاسبانية منذ 1909 وذلك الى غاية استشهاده في 15 ماي 1912 .

ج. مقاومة محمد بن الكريم الخطابي

تزعم مقاومة الريف في البداية والد محمد القاضي عبد الكريم وبعد وفاته في أوت 1920 تولى محمد بن عبد الكريم قيادة قبائل الريف في مواجهة القوات الاسبانية، لكن قبل مواجهة الإسبان اضطر محمد بن الكريم إلى القيام بمجموعة من الإصلاحات بمنطقة الريف حيث بدأ بتوحيد قبائل المنطقة وإحداث المصالحة

والتآخي بينها وهذا ما تم في اجتماع في 20 سبتمبر 1920 والذي توج بتوقيع معاهدة الصلح والتصدي للإسبان بين القبائل الكبرى لمنطقة الريف: بني ورياغل ، تمسمان و غزناية . ثم قام بتأسيس محكمة عرفت باسم "المزمة" كان الأمير يتولى القضاء فيها ويصدر الأحكام بالاعتماد على الشريعة الإسلامية.

على إثر ذلك قام الأمير محمد بن عبد الكريم بتأسيس أول نواة لقيادة المقاومة جماعيا مكونة من 38 شخصية أغلبها من قبيلة "بني ورياغل" واشتبك

مع القوات الاسبانية في عدة مواقع أشهرها معركة "أنوال الكبرى" سنة 1921 التي تعتبر مع أكبر الهزائم التي تلقاها الاستعمار في التاريخ الحديث.

وقعت المعركة في 21 جويلية 1921 وقد شملت أحداثها عدة مواقع، بداية المعركة كانت في موقع "أغريبن" إذ وضع الخطابي كمينا للجنرال سلفستري تمثل في تركيز الحصار على منبع الماء الذي كان يتمون منه الجيش الاسباني والواقع بين مسالك وعرة للإيقاع بالجنود الإسبان وذلك بغرض إرغام الجنرال سلفستري للخروج من أنوال، لكن هذا الأخير قام بحشد كل قواته الموجودة بمليلية ويركزها في أنوال بهدف القضاء على المقاومة الريفية. لكن المعركة التي دامت ستة أيام انتهت بهزيمة الجيش الاسباني أمام المقاومة الريفية التي انتصرت في هذه المعركة بفضل خطة الخطابي التي كان أساسها قطع التموينات عن الجيش الاسباني وفرض الحصار عليه ثم استعمال تكتيك حرب العصابات، وذلك رغم أن الجيش الاسباني كان تعداده 24000 جندي مزود بمدافع سريعة وبكل المعدات الحربية التي ابتكرها العلم الأوربي بينما مجاهدو الريف لم يكن عددهم يتجاوز الخمسة آلاف مجاهد.

مكن هذا الانتصار الخطابي من هزم الجيش الاسباني في مواقع أخرى مثل معركة "دار درويش" ومعركة "عريت" في 9 أوت 1921 وهذه الهزيمة مكنته من الوصول إلى حد أبواب مليلية التي توقف عندها.

مكنت هذه الانتصارات الخطابي من السيطرة التامة على شمال المغرب باستثناء الحصون العسكرية الصغيرة في سبتة ومليلية وطنجة كما أنه غنم عتادا عسكريا حديثا مكنه من تنظيم جيشه. كما أن معركة أنوال كان لها صدى عالميا في أوروبا وأمريكا، وتسببت في أزمة سياسية داخلية حادة بإسبانيا نظرا للخسائر الكبيرة التي مني بها الجيش الاسباني (19000 قتيل وحوالي 1000 أسير) وهذا ما أدى إلى قيام انقلاب عسكري بقيادة "بريمودي ريفيرا" سنة 1923 وإنهاء حكم الملكية.

لكن أمام الخطر الذي أصبح يشكله على الاستعمارين الفرنسي والاسباني تحالفت كل من اسبانيا وفرنسا على محاربته وتوقيعهما اتفاقية تحالفا بين القائد الجديد للجيش الفرنسي في المغرب الجنرال "بيتان" والجنرال الاسباني

"بريمودي ريفيرا" في 11 جويلية 1925 وتم الزج بقوات ضخمة في المعركة ضد الخطابي واستعمال أسلحة متطورة و خاصة الغازات السامة وهذا ما أدى في النهاية إلى استسلام الخطابي في ماي 1926 ثم نفيه إلى جزيرة لارينيون.